(فضل يوم عرفة)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله القائل : (أفضل أيام الدنيا العشر) يعني : العشر من ذي الحجة .

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فيقول ربنا فى كتابه : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)

عباد الله : أنتم اليوم فى اجتماع يومين عظيمين يوم الجمعة ويوم عرفة ، كيف لا وهو اليوم الذى أكمل الله فيه الدين وأتمَّ فيه النعمة حيث قال : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) ففي مثل هذا اليوم نزلت هذه الآية ، قال رجل من اليهود لعمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، فقال عمر : وأي آية ؟ قال اليهودي : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) قال عمر : إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه ، أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيد خ/م ولعظيم هذا اليوم فقد أقسم الله به ، ولا يقسم ربنا إلا بعظيم قال تعالى : (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اليوم الموعود يوم القيامة ، واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة) الترمذي والألباني ، وهذا اليوم هوالوتر الذي أقسم الله به في قوله : (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال ابن عباس : الشفع يوم الأضحى ، والوتر يوم عرفة ومن فضائل هذا اليوم : أن صيامه يكفر سنتين ففي مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال : (يكفر السنة الماضية والسنة القابلة) رواه مسلم ، فصيامه لغير الحاج أن يصوم هذا اليوم ليشارك الحجاج ويتعرض لنفحات الله تعالى ويحوز الأجر العظيم ، ومن فضائل هذا اليوم العظيم : أنه اليوم الذي أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بِنَعْمان - يعني عرفة - وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذّر ثم كلمهم فقال : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) أحمد والألباني .

ومن الفضائل أيضًا أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟) وفى رواية : (أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم) قال بعض السلف : وهذا يدلُ على أنهم مغفورٌلهم ، لأنه لايباهي بأهل الخطايا إلابعد التوبة والغفران والله أعلم وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شعثا غبرًا) أحمد والألباني .

نعم اليوم يوم عرفة وغدا إن شاء الله يوم النحر يوم التضحية يا عباد الله ومامن شيء على سطح الأرض إلا وله ثمن كبرأم صغر ، حتى الآمال والأمنيات لها ثمن...وثمنها ما يبذله أصحابها في سبيل تحقيقها ، فربما يتحقق بعضها بالسهروالتعب ، وربما لايتحقق البعض الآخرإلا ببذل الأموال والدماء...وكلاهما يحتاج إلى نفس تربت على البذل والجود والتضحية ، ومن أهم ما تبذل الأموال من أجله وتسترخص الدماء في سبيله : الإسلام

ذلك الدين الحق قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) هذا الدين لم يصل إلينا إلا على أشلاء وجماجم من ضحوا في سبيل الله بأرواحهم وأموالهم فملايين الأنفس قد أزهقت من لدن آدم عليه السلام حتى وصل إلينا هذا الدين ، فالتضحية : بذل النفس والمال والوقت والحياة كلها في سبيل الله ولذلك لا يجوز أن نقصر التضحية على النفس والمال فحسب فنكون بذلك قد ضيقنا واسعًا ، وليس في الدنيا جهاد بدون تضحية ، ومن قعد عن التضحية فهو آثم وقد توعده ربه فقال تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) فترويض النفس على التضحية بالدم والوقت والمال يضمن للأمة حياة كريمة وإن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب الله لها الحياة الكريمة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة إن شاء الله قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) فما أحوج الأمة في هذا اليوم العظيم يوم الأضحى أن تتعلم دروسا من التضحية والفداء من خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فسيدنا إبراهيم عليه السلام قد قدم للبشرية كلها أعلى وأعظم درس فى التضحية والفداء...كيف ذلك ؟ عندما سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يرزقه ولداً صالحاً تقربه عينه فقال : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) ويستجيب الله لخليله إبراهيم عليه السلام فيبشره بغلام حليم : (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ) ولم يكد إبراهيم عليه السلام يأنس بولده ويسعد بصباه ويفرح بسعيه معه إلا ويفاجأ إبراهيم بالإبتلاء العظيم ، يرى في منامه أنه يذبح ولده بيديه...ورؤيا الأنبياء وحي ، ولكم أن تتخيلوا هذه اللحظات ؟ أب مرت عليه السنوات الطويلة ولم يرزق بذرية ثم يدعو ربه فيرزقه الله بولد ، ثم يؤمر بعد ذلك بذبحه كيف يكون حاله ؟ كيف يكون موقفه ؟ لكن خليل الرحمن عليه السلام يقوم لينفذ أمر ربه ويقول له : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ؟) فيرد الغلام : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) إنها التضحية بالابن الوحيد...سبحان الله ! إنه ابتلاء لامثيل له في تاريخ البشر وتضحية تعجز عقول البشر أن تتصورها مجرد تصور...وانطلق إبراهيم للتنفيذ فعلاً قال تعالى : (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) ويسمع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تكبيرات جبريل من السماء : الله أكبر الله أكبر فيقول إبراهيم : لاإله إلا الله والله أكبر ، فيقول إسماعيل : الله أكبر ولله الحمد ، فهذه التكبيرات التى جعلها الله لنا شعارا فى أعيادنا ، وهنا نادى الجليل على الخليل : (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَالْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ..) **وقد يقول قائل :** لماذا أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه ثم فداه بذبح عظيم ؟ **نقول :** لأن إبراهيم عليه السلام نذر لمَّا سأل ربَّه الولد أن يقدم لله أعز مايملك فلما وهبه الله له وتعلقت شعبة من قلبه بمحبته...أراد الله أن يختبر محبة إبراهيم لربِّهِ مقارنة بمحبته لابنه فى أيِّهما أحبّ إلى إبراهيم فلما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ابنه كانت محبة الله أعظم عنده من محبته لابنه الوحيد فلم يبق فى الذبح مصلحة ولذلك فقد أثنى عليه ربه فقال : (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) ثم بشره الله بعد نجاحه فى الإختبار بإسحاق قال تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ) وهذا جواب على من يقول : إن الذبيح هوإسحاق فكيف يأمرالله إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق وقد بشر الله إبراهيم عليه السلام بأن إسحاق سوف يطول عمرُه وسيتزوج ثم سيرزقه الله بابن هو : يعقوب عليه السلام ؟ فاتقوا الله عباد الله وأصلحوا ذات بينكم لعلكم تفلحون ، وعنه صلى الله عليه وسلم : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .